

إن المعايير النقدية تحاول أن ترى كل عمل أدبيّ جديدٍ استمراراً للخصائص الفنية والتقاليد الأدبية ، التي ظهرت من نتاج مشاهير الأدباء ، والتي حفظها تاريخ الأدب القومي أو الآداب العالمية ، وكأن هذه المعايير تريد للنقد أن يكون علماً ، له قوانينه وضوابطه ، التي يلتزم بها الأديب والناقد على السواء .

ولكن النقد لا ينهض على هذه الدعامة وحدها ، دعامة المعايير النقدية ، فثمة دعامة أخرى أثرت إليها في صدر هذا الحديث وهي الذوق الأدبي ، فهي بدورها تحاول أن ترى في كل عمل أدبي جديد قفراً ، في بعض خصائصه الفنية ، أو فيها كلها إذا أمكن ذلك ، عما نعرف في التقاليد الأدبية ، وعما نألف لدى مشاهير الأدباء ، وكأن هذه الدعامة تريد للنقد الأدبي أن يكون فناً يخضع لذوق الناقد ، وما يقوم به من عملية استكشاف لكل جمال في جديد .

والحق أن النقد الأدبي يقع في مكان ما بين العلم والفن ، وأن فيه من هذا وذاك بمقدار ما فيه من اعتماد على هاتين الدعامتين : المعايير النقدية والذوق الأدبي ، ولقد وقفنا حتى الآن مع هذه المعايير ، وحق لنا أن نقف مع هذا الذوق .

الذوق الأدبي

قال ضياء الدين بن الأثير في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : و اعلم أيها الناظر في كتابي أن مدار علم البيان على حكم الذوق السليم ، الذي هو أنفع من ذوق التعليم ... فإن الدربة والإدمان أجدي عليك نفعاً ، وأهدى بصراً وسمعاً ، وأنها يريانك الخبير عياناً ، ويجعلان عسرك من القول إمكاناً ، وكل جارحة منك قلباً ولساناً (١١٢) .

فإن الأثير يحدثنا هنا عن حساسة فنية ، تزيدها الدربة على تأمل الآداب قوة ، ويكسبها الإدمان على النظر في أسرار الجمال الفني حدة ، وهذه الحاسة تجعل